دار الحياة

المراقبون الأربعة

الإثنين, 08 مارس 2010

ما هذه الفضيحة؟ المشهد مريب. ومعيب. فصل جديد في عملية الاغتيال. وبأيد عراقية هذه المرة. ما هذه الفوضى؟ مواكب وشعارات واعلانات. والعالم يتسلى بنقل الصور. والابتسامات والترجيحات. والمحللون يتحدثون. عن القوائم والعمائم. عن التسابق بين متدينين وعلمانيين وشيوعيين. عن تحالفات مناطقية وعشائرية وحزبية وتعاطفات اقليمية.

ما هذه الفضيحة؟ من اين جاؤوا بهذا القاموس المشبوه؟ التعددية الحزبية. نزاهة الانتخابات. المراقبون الاجانب. نهاية الولاية. التداول السلمي للسلطة. الاحتكام الى الدستور. دور المجتمع المدني. عادات غريبة والفاظ غريبة. هذا ليس العراق الذي احب. لا اشبهه ولا يشبهني.

صناديق الاقتراع لا تنجب الا عاديين. القائد الاستثنائي لا يأخذ تفويضه منها. ينتزعه مباشرة من التاريخ. وما هذه الفوضى الاعلامية؟ لا يجوز ترك الصحف لمخيلة الصحافيين. مانشيتات الصحف الوطنية الصادقة تتشابه. تكتب في المطبخ المركزي للاستخبارات. او في فرعها في وزارة الاعلام. تكتب الصحف بقلم واحد. ولإرضاء قارئ واحد.

قادة العراق الجدد. قالها هازئاً. واندلع الشرر في عينيه. هؤلاء يصلحون للمنفى. وشاشات الفضائيات. رأى على الشاشة العراقيين يقترعون ويبتسمون. ابناء المحافظات التي قاطعت سابقاً أحبوا الديموقراطية بدورهم. انتهت اللعبة وطويت الصفحة. نادى على «الكيماوي» فلم يجبه. اغمض عينيه وتذكر. نسيت انهم قتلوه. نسيت انهم قتلوني. عاود صدام حسين نومه المديد.

***

في مزرعته البعيدة يراقب الشاشة ويتمشى. انهم ينتخبون. لم يتصل احد منهم. لم تصل رسالة بالفاكس. ولا بالبريد الالكتروني. كانت الصورة مختلفة لو لم اتخذ ذلك القرار. قرار كلف اميركا آلاف القتلى والجرحى و800 بليون دولار. من دونه كان جلال طالباني سيتقاعد معارضاً لا رئيساً. وسيبقى مسعود بارزاني قلقاً ومتأهباً للصعود الى الجبل. ونوري المالكي في دمشق. وآل الحكيم في طهران. واياد علاوي في لندن. واحمد الجلبي يغوص في الرياضيات والارقام. صورة الجلبي استفزته. امضى اعواماً على طريق واشنطن. تسرب الى الاروقة والكواليس ناصحاً ومحرضاً ومجملا. وحين اقتلع نظام صدام حسين راح يتسلى بتعداد الأخطاء. ضجر من الوجبات السريعة واستهواه المطبخ الفارسي. وتفرغ للاجتثاث. رحلة العراق تطارد جورج بوش. يحدق مرة اخيرة الى الشاشة ويقول: سينسى التاريخ التفاصيل لكنه لن ينسى انني حملت الديموقراطية الى العراق.

***

في كهفه البعيد يتلقى التقارير. طعم غضب. وطعم مرارة. غدر سنة العراق بـ «القاعدة». مرة عبر الصحوات. واخرى عبر الصناديق. في الفلوجة نفسها اقترعوا بالأمس. قالوا انهم يقترعون ضد التكفيريين والانتحاريين. ضد ما سموه الافكار الظلامية والأحزمة الناسفة. اعتنقوا قاموس الآخرين. تداول سلمي للسلطة. ودستور من صنع المشرعين. اعطوا الكلمة الفصل لصناديق الاقتراع. سمحوا لقوات بوش ان تنتصر على «القاعدة». سلوكهم الحالي سيمكن اوباما من الانسحاب. هذا فظيع. سنخسر فرصة الاشتباك مع الاميركيين على ارض العراق. يلزم نهر جديد من الانتحاريين لإبقاء العراق ساحة اشتباك مع الصليبيين والشيعة. ما اصعب العراق. قالها اسامة بن لادن في كهفه البعيد.

***

في مكتبه يتابع الانتخابات العراقية ويبتسم. قدر العراق ان يكون خطيراً. اذا فاضت قوته عن حدوده. واذا رزح تحت ركامه. واذا ابتهج. واذا انتحب. واذا انتخب. هذه الديموقراطية المزركشة بالعقائد والألوان اخطر من التخصيب. اذا كان يحق للكردي في العراق ان ... فلماذا لا يحق له في ايران؟ واذا كان يحق للسني ان ... فلماذا لا يحق له في ايران؟ ثم اين جاذبية الثورة الإيرانية حين نسمع تبرم محافظات الجنوب العراقية بأدوار رجال الدين في السياسة؟ والى اين نصدر الثورة اذا لم نستطع تصديرها الى العراق؟ ماذا نقول غداً للمعارضة الداخلية اذا طالبت بديموقراطية لا تقيم تحت رقابة المرشد؟ واذا انجبت صناديق الاقتراع زعيماً

يعارض الدور المهيمن لرجال الدين؟ هذه الانتخابات المزركشة ليست حدثاً سعيداً لإيران والمنطقة. قالها محمود احمدي نجاد مكرراً أنها اخطر من التخصيب.

للأعلى

Source URL (retrieved on *03/08/2010 - 12:12*):
http://international.daralhayat.com/internationalarticle/116850
copyright © daralhayat.com